رأينا النسآء حالة موت ازواجهنَّ ذاهباتٍ الى الموت معهُ احراقاً او دفناً في الحيـاة وهنَّ فرحاتٌ طربات متزينات متبرجات كانهنّ في وليمة او عرس اذ يفضلنَ الموت مع الشرف ورضى الناس عنهنَّ على حياة الترمل التي في كل دقيقةٍ من دقائقها ويلٌ ونكالٌ كالاستشهاد . ولطالما عُنيت الحكومة الانكليزية في الهند باستئصال هـذه العادة الفظيعة فلم تفلح الا في المدن واما في اكثر الارياف فهم يجرونها سرًّا ولو تحملوا طائلة العقاب . اما في البلاد التي ليس للحكومة الانكليزية سلطةٌ فيهـا فهم يجرونها علناً باحتفال دينيٍّ عظيم ولا يتحولون عنها حتى اليوم

(ستأتي البقية) سليم عنحوري

الجوكية

(تابع لما في الجزء الخامس)

والجوكية في الهند فرقةٌ من الطائفة المعروفة بالفقرآء وهم قومٌ من النسّاك يعيشون من التكفف على حدّ الدراويش في فارس والمملكة العثمانية. وأصل طريقتهم يرجع الى حكايةٍ وردت في الكتب الهندية حاصلها أن واحداً من راجواتهم يقال لهُ دِيزَرْت نفى ابنهُ رام من المملكة وفيما كان غائباً اقبل الملك ريڤان على امرأة رام متنكراً بزيّ مستعطٍ يسألها صدقةً فخطفها وانطلق بها . ولما عاد رام وعلم بمـا كان زحف على مملكة ريڤان فدمّرها وخرج ريڤان هائمـاً على وجههِ يتنقل من بلدٍ الى بلد يعيش من الكُدية فاقتدى بهِ اناسٌ من اهل تلك الديار ولم يلبث ان كثر تُبّاعهُ وانتشروا

في اكثر نواحي الهند الشرقية

وعدد الفقرآء في هذه البلاد يبلغ على ما ذكرهُ هربلُوت ثماني مئة الف من المسلمين واثني عشر الفاً من الوثنيين فضلاً عن المرشَّحين للدخول في طريقتهم . وهم فريقان فريقٌ ينتشرون فرادَى فلا يأوون الى وطن مخصوص وليس لهم جمعيةٌ تضمهم وهم يمشون عُراةً وفي يد كلٍّ منهم هراوةٌ ضخمة قد عُلّق عليها خِرَق مختلفة الالوان ولا ينامون على فراش ولا غطآء لهم الا السمآء ولا يوقدون نارهم بالحطب بل بجلّة البقر اليابسة وهو عندهم ضربٌ من العبادة لان للبقر اعظم حرمة في الهند . وهم يستبيحون جميع المنكرات والكبائر ويستحلُّون كل نوعٍ من المحرَّمات ولذلك لا تؤمن غائلتهم اذا صادفوا احداً في موضعٍ منفرد فانهم لا يكتفون بسلب مالهِ ولكنهم يقتلونهُ خوف تَبِعةٍ تلحقهم اذا تركوهُ حيًّا

والفريق الثاني يتألفون عصاباتٍ لكل عصابةٍ منهم رئيس وهم يكتسون بخلاف اولئك ويتخذون ملابسهم من خِرَقٍ بالية مختلفة الالوان ويكون ثوب رئيسهم ارثّ من ثياب سائرهم وهو ينوط سلسلةً طويلة باحدى ساقيهِ فاذا صلّى قعقع بتلك السلسلة . ولهذه الطائفة حرمةٌ عظيمة عند العامّة وهم يأكلون على موائد المؤمنين وحيثما ساروا يلتفّ الجماهير حول رئيسهم ويركعون امامهُ ويقبّلون قدميهِ ونعليهِ ويُدِرّون عليهِ مبرّاتهم ويسترشدونهُ في امور دنياهم وآخرتهم وعندهُ رُقَى لاصحاب الزمانات وللنسآء العواقر ولهم بهذه الرقى ايمان وطيد

ومنهم من ينتظم بما يشبه انتظام الجيش فيحملون الرماح وغيرها من

السلاح واذا مشوا رفعوا لهم رايةً وساروا على اصوات الابواق واذا سافروا من بلدٍ ضربوا الطبول اعلاناً برحيلهم وكذلك يفعلون اذا بلغوا المكان الذى يقصدونهُ

وللوثنيين منهم شعائر غريبة في الدين واقدامٌ على تعذيب اجسادهم بما يفوت طور الاحتمال وهؤلآء هم المسمَّون بالجوكية . فمنهم من يقضي نهارهُ وليلهُ واقفاً او جالساً فلا يتغير عن تلك الحال ولا يتحرك من مكانهِ وينام وهو كذلك حتى روى البروفسور مونيار وِليَم انهُ رأى في مدينة الله آباد رجلاً جالساً منذ خمسين سنة على قاعدة من الحجر معرَّضاً للشمس والريح والمطر فلا يتحرَّك الا مرةً واحدة في اليوم يذهب بهِ مريدوهُ الى نهر الكنج المقدَّس فينغمس فيهِ ثم يردونهُ الى مكانهِ . ومنهم من يرفع يديهِ في الهوآء ويلبث كذلك الى ان يموت فلا ينزلهما البتة ولا يزايل موقفهُ ليلاً ولا نهاراً ويقاسي ألم البرد والحرّ ولسع الهوامّ ولا يمدّ يدهُ لطردها . ورؤي منهم من نذر على نفسهِ الانقطاع عن الكلام مدة اثنتي عشرة سنة وآخرون يضعون النار على رؤوسهم ويلبثون كذلك حتى تحرق الجلد واللحم وتبلغ العظم . وروى احد السُيّاح الانكليز القصة الآتية قال ان احد أولئك الجوكية لبث واقفاً على ساقيهِ مدة اثنتي عشرة سنةً لا يقعد ولا يضطجع وهي الدرجة الاولى . ثم انتقل الى الدرجة الثانية فشبك يديهِ على رأسهِ وضمّ اصابعهُ على الكفّين واقام على ذلك اثنتي عشرة سنةً اخرى وقد طالت اظفارهُ حتى دخلت في لحم يديهِ كالمسامير . وبقي عليهِ بعد ذلك درجةٌ ثالثة وهي انِ يمشي بين خمس نيران اربعٌ منها للرياح الاربع

والخامسة للشمس لكنهُ لم يأتِ عليهِ نصف ساعة حتى سال الدم من جميع اعضآئهِ وأُخِذ ميتاً . والحكايات من امثال ذلك اكثر من ان تُحصَى

الا ان كل هذا على تناهيهِ في الغرابة ليس فيهِ الا الصبر على الالام البدنية طمعاً فيما ورآء ذلك من الحصول على السعادة الأُخرويّة والمثول بالحضرة البرَهْميّة ومثل هذا يفعلهُ كثيرون من المهوَّسين في امر الدين من اهل كل مذهب . لكن هناك اموراً تفوق طور الطبيعة وذلك كما رواهُ المستر اسبورن احد موظفي الانكليز بالهند سنة ١٨٣٨ من ان جوكيًّا دفن نفسهُ في الحياة واقام عدة اسابيع بل عدة اشهر تحت الارض ببضعة امتار ثم أُخرج حيًّا . وقد تقدم ما يقرب من هذه الرواية عن ابن بطوطة وتواتر مثلها على ألسنة كثير من السيّاح في اعصار مختلفة ممن لا يُشَكّ في صدقهم ولا تجوز عليهم الخزعبلات المموَّهة . على انهُ يُذكَر ان بعض الاوربيين عرضوا على احد هؤلآء الجوكية ان يدفن نفسهُ ويسلّم مفتاح القبر الذي يُبنَى لهُ الى أُناسٍ من قِبَلهم ووعدوهُ على ذلك بجائزةٍ طائلة فامتنع فاستدلّوا من ذلك على ان في الامر تدبيراً احتياليًّا على حدّ سائر الاعمال الموهمة من شبه السحر . لكن بقي هناك ما لا يحتمل هذا الفرض كمسئلة الارتفاع عن الارض وحكاية التفاح البرازيلي وغيرهما مما ذُكر قبلاً وآخر ما ذهب اليهِ اصحاب الحدس ان هذه الامور تتمّ بواسطة عاملٍ مغناطيسي يتسلط بهِ الجوكيّ على اوهام الحضور ويصوّر لهم ما لا حقيقة لهُ على نحو ما يجري في حال التنويم الصناعي ولعلّ هذا اقرب ما يكون الى الحقيقة وان لم يتوصلوا الى معرفة سرّهِ والله اعلم